مثلها كُتبت بوجه القلم مثل مطّة الفاء المفردة (ثم قال) : وهذا من اعظم اسرار الكتابة (لها بقيّة)

المقتطف والبابويّة

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قد حيّت الجامعة المصريّة في احد اعدادها مجلّة المقتطف ودعتها باسم « شيخ المجلّات العربيّة » أجل الّا انّ هذا الشيخ ربّما شرد عن صوابهِ فاحتاج الى من يقرع لهُ العصا كالحارث بن ظرب الذي وكل الى ابنتهِ ان تقرع امامهُ العصا ليرجع الى رشدهِ

وفي العدد الاخير الذي صدر في ايلول من السنة الجارية (ص ٧٤٧) فصلٌ عن البابويّة ممضًى باسم ن . ب وجدنا فيهِ مثل هذا الشرود فاتينا نقرع لهُ العصا ليصيب صاحبهُ في حكمهِ مرّةً أُخرى

قال انارهُ الله في مُفتتح مقالته : « كان النصارى في اوّل نشأتهم كالاشتراكيين في هذا العصر لا رؤساء لهم » فلله درّهُ مؤرخًا عارفًا باحوال النصارى ومدقّقًا في اخبارهم القديمة . فاين يا ترى وجدتَ انّ النصارى كانوا في اوّل نشأتهم كالاشتراكيين لا رؤساء لهم ؟ هل وقفتَ على ذلك في اسفارنا المقدّسة ؟ او في تاريخ اهل الاعصار الاولى ؟

فانّ الاسفار المقدّسة تُعلمنا انّ المسيح لمّا اراد انشاء جماعة دينيّة لم يشأ على مثال كلّ المشترعين واصحاب الاديان ان يترك امّتهُ دون رأس يتولّى امرها ويحيد باصحابها عن تفرُّق الكلمة والاضاليل . أفلم تقرأ وانت نصرانيّ ما ورد في الانجيل الطاهر انّ المسيح جعل سمعان تلميذهُ هامةً للرسل وغيّر اسمهُ فدعاهُ صفاةً وجعل على هذه الصفاة بيعتهُ ووعدهُ بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها واعطاهُ مقاليد ملكوت السماوات فلهُ الحلّ والربط والامر والنهي ووكل اليهِ رعاية خرافهِ ونعاجهِ وتثبيت اخوتهِ . افكان يمكن المسيح ان يبيّن بنوع اوضح انّهُ لا يريد ان تكون جماعتهُ بلا رأس ؟

وكذلك تُعلمنا اخبار النصارى الاوّلين في كتاب اعمال الرُّسل انّ بطرس ادرك غاية سيّدهِ فما صعد الرب الى السماء حتى اخذ يسوس المئة والعشرين في عليّة صهيون

وتولّى أمر انتخاب متيّاس بدلًا من يهوذا الاسخريوطي وقام اوّل خطيب يوم حلول الروح القدس بين التلاميذ وسبق الكلّ في المدافعة عن حوزتهم امام الجموع وامام رؤساء الكهنة . هو المتقدّم في بشارة السامرة وفي انذار الوثنيين وتعميدهم . هو الذي يرأس اوّل مجامع الكنيسة في اورشليم ويحكم الحكم الفصل فيه . هو الذي يطلب قتلهُ هيرودس لعلمهِ بانهُ رأس الكنيسة والكنيسة كلُّها تستحرُّ بالصلاة لنجاتهِ . أيأهُ يزور بولس رسول الامم ليصادق على دعوتهِ . هو الذي يبشر عواصم العالم الروماني الثلث اماً بنفسهِ كما فعل في انطاكية ورومية واماً بتلميذه مرقس الذي ارسلهُ الى الاسكندريّة فصارت من ثمَّ هذه الكراسيّ الثلثة كراسيّ بطريركيّة دون غيرها (راجع مقالات الاب تامبزيه في السنة الخامسة من المشرق عن اصول البطريركيّات وحقوقها)

وان استفتينا الكتبة الذين ذكروا النصارى في القرون الاولى للميلاد وجدناهم كلّهم على اختلاف مذاهبهم يعتبرون النصرانيّة كجمعيّة لها رأس يتقلّد تدبيرها فلا يجري شيء في الكنيسة الّا عن امرهِ وذلك في الشرق والغرب معاً دون ان يعترض احدٌ على هذا الرأس فيخلع طاعتهُ بدعوى انّهُ لا سلطة لهُ عليهِ (راجع مقالات الاب راي عن سلطة الباباوات في القرن الاوّل والثاني والثالث على كنائس الشرق في المشرق السنة الثالثة والرابعة)

لا بل نجد في قول المقتطف « بانَّ النصارى كانوا كالاشتراكيين » ما يردُّ زعمهُ . فانهُ جعل الاشتراكيين بلا رأس . والكلُّ يعلمون ان قوّة الاشتراكيين تأتيهم من اجتماع كلمتهم ولا اجتماع لهذه الكلمة لولا زعماؤهم . وحيث الزعيم هناك الراس . فلا صحّة اذن لقولهِ بان الاشتراكيين لا رأس لهم . قال الربُّ في الانجيل : « كلُّ مملكةٍ تنقسم على نفسها تخرب . وان انقسم الشيطان على نفسهِ فكيف تثبت مملكتهُ » . والحقُّ يقال ان البدع نفسها والديانات الباطلة لا تقوم بلا رأس يشدُّ بأزرها

ثم قال كاتب المقتطف هداهُ الله : وكان النصارى « يجتمعون لعبادة الله وإمامهم اشدُّهم ورعاً واقدرهم على الوعظ والارشاد تركوا الرئاسة المدنيّة للامم الذين يسودونهم قائلين لتخضع كلُّ نفس للسلاطين الخ »

افترى كيف يقدر هذا الكاتب ناقض نفسهُ ؟ فبعد انكارهِ انهُ كان للنصارى رئيس ها هوذا يجعل لهم إماماً . فمن هو ناشدتك الله الإمام الّا الرئيس الدينيّ فكان اذن

للنصارى رؤساء يدبّرونهم ويرشدونهم لكنّهُ اخطأ بقولهِ انّ امامهم كان « اشدّهم ورعاً واقدرهم على الوعظ ». لانّ قداسة الحياة والبلاغة في الخطابة مستحبّان في الرئيس الّا ان الرئاسة لا تتوقّف عليهما. ماذا يقول جنابهُ عن رجلٍ يعصى سيّدهُ وينكر سلطانهُ بدعوى انّهُ ليس رجلًا بارًّا فاضلًا او لكونهِ عيًّا عاجزًا عن الكلام ؟ وهل يا تُرى لا يملك الّا الافاضل والبلغاء ؟ او لم يقل موسى للربّ لمّا ارسلهُ ليسوس شعبهُ: اني لا أُحسن التكلُّم

امّا قولهُ « تركوا الرئاسة المدنيّة للامم » فهو صحيح لانّ النصارى كانوا يخضعون للملوك والقياصرة في امور دنياهم. لكنّ ذلك لا يمنع كونهم يخضعون لله ولمن اختارهُ الله ليرشدهم في امور آخرتهم كما انّهُ لا يمنع انّ الملوك والشعوب يوقفون الاوقاف على رئيس الكنيسة فيكون هذا الرئيس كبقيّة المتملكين لهُ الحقّ المدنيّ على اوقافهِ وعلى المملكة المعطاة لهُ شرعيًّا

ثم قال اصلحهُ الله « ثم لمّا كثر عددهم (اي النصارى) وقوي شأنهم خصُّوا الرئاسة الدينيّة باربعة من اساقفتهم سمّوهم بطاركة وهم بطاركة رومية والقسطنطينيّة وانطاكية والاسكندريّة وجعلوا لاسقف اورشليم رتبة بطريرك شرف »

في هذا القول عدّة امور لا صحّة لها. منها قول الكاتب « النصارى خصُّوا الرئاسة الدينيّة باربعة ». ومن المعلوم انّ الرئاسة الدينيّة ليس اصلها من النصارى بل من المسيح كما سبق. وكذلك ليس بالصواب قولهُ انّهم خصُّوها باربعة. لانّ الكراسيّ الكبرى ذات السيادة انّما كانت لثلاثة اساقفة لبطريرك رومية وهو نائب المسيح ثم للاسكندريّة ولانطاكية لاكرام بطرس الهامة كما بيّن ذلك المشرق (٥ : ٤٣٥—٤٣٨) امّا كرسيّ القسطنطينيّة فلم يكن من الكراسيّ الرسوليّة وانّما أُضيف اليها بعد ذلك بقرون متعدّدة راجع تاريخهُ في المشرق (٥ : ٥٩١—٥٩٦) وكذا قل عن كرسيّ اورشليم (المشرق ٥ : ٥٨٩—٥٩١)

ثم اردف الكاتب قائلًا: « وكان البطاركة اصلًا متساوين في الرتبة والمقام الّا ان بطاركة رومية حاولوا من اوّل الامر السيادة على غيرهم بدعوى انّهم خلفاء بطرس الرسول. ولم يأتِ القرن الخامس للميلاد حتى كانوا فازوا بمطلبهم واعترف الامبراطور الرومانيّ بالاسقف اوسنتس الاوّل رئيساً عامًّا للكنيسة »

هذا كلُّهُ مخالف للتاريخ فانَّ البطاركة لم يكونوا اصلًا متساوين في الرتبة والدليل على ذلك الشهادات المتعدّدة التي اوردها حضرة الاب راي في مقالاتهِ الثلاث عن رئاسة بطاركة رومية في القرن الاوّل (المشرق ٣ : ٢) والثاني (المشرق ٣ : ٤٤٢) والثالث (المشرق ٤ : ٨٠٧) فما نقض احدٌ حتى الآن هذه الشهادات. فإذن وهمَ صاحبنا في قولهِ: «انَّ بطاركة رومية حاولوا السيادة» فانَّ المحاولة طلب الشيء بالاحتيال. وليس احتيال حيث الحقوق راهنة. ولم يحتج البابا انوسنتس الاوّل للامبراطور الروماني ليعترف برئاستهِ على الكنيسة فانَّ الملوك والشعوب كانت اعترفت لهُ بهذه الرئاسة منذ القرون الاولى. لا بل نعرف انَّ القيصر الوثني اوريليانوس على ما ورد في تاريخ اوسابيوس قد اعترف بسلطة بابا رومية منذ القرن الثالث لمَّا حكم في انطاكية بين اسقفين متخاصمين فقال: انَّ الحقّ للاسقف الخاضع لاسقف رومية. فبطل اذن مزعم كاتب المقتطف انَّ بطاركة رومية حاولوا السيادة. وليس دعواهم بكونهم خلفاء بطرس الرسول دعوى باطلة. ولو اراد حججاً على ذلك لاتيناه باقوال النساطرة واليعاقبة وغيرهم من المبتدعين الذين شُحنت كتبهم الطقسيَّة بالشهادات على رئاسة بطرس وخلفائهِ وهم مع ذلك قد انفصلوا عن الكنيسة منذ القرن الخامس (راجع مقالة حضرة الاب الفاضل القس بطرس عزيز عن الطائفة الكلدانيَّة والكنيسة الرومانيَّة في المشرق ٦ : ٤٩٣). ثم لنا في اقرار المقتطف نفسهِ ما يفنِّد زعمهُ فانهُ في بقيَّة مقالتهِ يدعو البابا «خلفاً لمار بطرس» (ص ٧٥٠) وانَّ الاحبار الرومانيين «اصبحوا حكماً عاماً تتقاضى اليهم الممالك وتجري على احكامهم» (ص ٧٤٧) وانَّ «البابويَّة مبنيَّة على ما للبابا من حقّ المداخلة في احوال بقيَّة الممالك واجراء المراقبة والتأديب»

ويلي قولهُ السابق نتفةٌ عن ترقّي السلطة البابويَّة ونفوذ الباباوات لا نحاجُّ كاتب المقتطف عنها الّا في عبارات منها تُشعر بقلَّة احترام لاساقفة رومية. وممَّا لا يمكن السكوت عنهُ قولهُ (في الصفحة ٧٤٨): «وبقي بابا رومية رئيساً عاماً للنصرانيَّة الى ان وقع الخلاف الشهير بين النصارى في مسألة وضع الايقونات في الكنائس فاتَّخذت كنيسة رومية والكنائس التابعة لها الوجهة المخالفة لقرار المجمع القسطنطيني الذي عُقد سنة ٧٥٤ والذي اتبعتهُ الكنائس الشرقيَّة»

فبالله عليك أيُّها الكاتب الضليع قُل لنا ايُّ خلافٍ وقع بين كنائس الشرق

وكنيسة رومية بخصوص الايقونات ومتى كان ذلك واين رأيت ان مجمعاً عُقد في هذا الشأن سنة ٧٥٤ في القسطنطينيَّة (١. وغاية ما نعلم وما يعلمهُ حتى احداث مدارسنا انَّ المجمع الذي عُقد بخصوص الايقونات انَّما عُقد بامر البابا ادريان الاوَّل على عهد ايريني الملكة سنة ٧٨٧ ولم يكن فيهِ خلاف البتَّة بين كنائس الشرق وكنيسة رومية. بل اتَّفقت الكنائس كلّها شرقاً وغرباً في صحَّة اكرام الايقونات. وهذا المجمع هو السابع من المجامع المسكونيَّة التي صادق عليها الباباوات والثاني من المجامع التي عُقدت في نيقية. فان كان لدى المقتطف تاريخ آخر اكتشفهُ فليتكرَّم علينا بهِ لنطَّلع على ما لم تَروِهِ تواريخنا الكنسيَّة بل جميع التواريخ المدنية

ولنا في بقيَّة مقالة الكاتب ملاحظات أُخرى لاسيَّما في ما كتبهُ عن سلطة البابا الزمنيَّة الَّا ان ذلك يؤدي بنا الى اطالة الكلام ويستدعي شروحاً ليست من هذا المقام. وفي ما سبق كفاية ليرى القرَّاء بايّ خفَّة يخوض المقتطف في المسائل الدينيَّة التي لا يعرف منها الَّا قشرتها فعساهُ ان ينتبه الى اوهامهِ بعد ان قرعنا لهُ العصا ولا يعود الى مثلها دفعة أُخرى. هدانا الله واياهُ الى كلّ صواب

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الثاني عشر

بارقة امل (تابع)

فتوجَّه سلوانس من ساعتهِ الى المعسكر قريباً من منزل الاسرى حيث كانوا يزدحمون كالغنم في الزريبة ثم اختلط ببعض الجند في حانوت هناك كانوا اجتمعوا فيهِ لمعاقرة الخمرة فسلَّم عليهم وسكب لهم قدحاً من خمر لبنان كان اتى بها معهُ لسفرهِ فرحَّبوا بهِ وجاذبوهُ اطراف الحديث

١) ما لم يُشر الكاتب الى مجمع غير قانونيّ جمعهُ الملك قسطنطين الزبليّ لمحاربة الصور ورذلتهُ الكنيستان معاً